الفصل الرابع

الـــرق لمـــاذا ؟!

الرق مسألة غير موجودة لدينا الآن بصورتها القديمة، لذلك لا بد من تصوّرها جيداً لكي تُفهم على حقيقتها... ونرى كيف أن الإسلام قد حول جميع الظلامات الموجودة فيها إلى عدل ورحمة وإحسان، وحول جميع التناقضات والاعتداءات إلى واحة بر وأمان، وكيف حول ذلك المستنقع المليء بالأمراض والحشرات الكريهة، إلى بستان مثمر لجميع أنواع الإنتاج من علم وخير وإيمان.

فقد وجدت مصادر للرق قبل الإسلام من وجوه عديدة، فالقتال مصدر من مصادر الرق، وغارات القبائل على بعضها البعض للسلب والنهب والسرقة المسلحة، وما يعقب ذلك من أخذ النساء والأطفال مصدر آخر من مصادر الرق، والديَّن الذي لا يستطيع صاحبه أن يدفعه مع فوائده الربوية أضعافاً مضاعفة يصبح هو الآخر مصدراً من مصادر الرق.

ومصدر قد لا يخطر على بال هو أن القاتل حينما لا يجد ما يدفع الدِّية ... فإنه قد يدفع ابنه أو ابنته ليكون رقيقاً عند ولي دم المقتول، ولنتصور حال هذا الرقيق الذي يعيش تحت إمرة عدو لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فكيف تكون معاملته.

واجد نفسي مضطراً من الآن لكي أقول: إن الإسلام لا يسمح بأي نوع من أنواع ذلك الرق.. إلا ما كان من قتال مشروع على ما فصلناه في موضوع (الجهاد لماذا)، وبذلك يكون الإسلام قد ضيق موارد الرق إلى ابعد الحدود، فهو لا يسمح بالرق من قتال غير مشروع أو غارات سلب ونهب، أو دين أودية أو غير ذلك.

وبهذا التشريع الإلهي الحكيم فقد جُففت منابع الرق الفاسدة بأكملها، ولم يبق إلا نبع واحد عذب رقراق لا بد منه ولو إلى حين، ذلك الحين الذي بشر به الإسلام منذ زمن النبوة حينما قال تعالى عن الرق: (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ)(المجادلة 4)،.

ولعل قائلا يقول: فلماذا لم يحرم الإسلام الرق منذ ذلك الزمن؟

وهذا السؤال نابع من عدم فهم تلك القواعد الحربية في ذلك الزمن الذي كان الإسلام لا يملك فيه أن يشرع للعالم ولم يكن يسمع منه أحد ما يريد أن يقول.

ولنتصور أن الإسلام قد حرّم أخذ الرق على مقاتليه فإنه سيحدث أحد أمرين أو كلاهما وهما:

الأمـر الأول: أن المقاتل المسلم سيكون في موقف ضعيف، فهو يرى أن عدوه يستطيع أن يقتله، ويستطيع أن يأخذه رقيقاً أيضاً، ثم يذيقه كل ألوان العذاب، بينما الجندي المسلم لا يستطيع في حال انتصاره إلا أن يقتل فقط، والأسير الكافر سيُطلق سراحه بعد عدة أيام.

الأمر الثاني : قد يعمد الجندي المسلم إلى قتل الأسير المتغابي الذي لم يرفع يديه للاستسلام إلا بعد أن رأى أن الموت محقق، بعد أن كان ذلك الكافر قد فتك بجيش المسلمين، لكن الأسر عند المسلمين سيكون طريقاً لذلك الكافر لأن يرى عدالة الإسلام وروعة نظامه البديع، وبذلك سيعتنق الإسلام طواعيةً،

فالعبودية هنا هي أحد طرق الهداية للإسلام فلا يجوز لنا حرمان ذلك الكافر منها طالما أننا نحاول هداية الناس إلى طريق الله، وبالاختيار، لا بالإكراه كما أسلفنا.

أما عن معاملة الرقيق قبل الإسلام فإن الرقيق حينما كانوا يؤخذون أسرى من المعركة فإنهم يوسعون ضرباً، وشتماً، وإهانة وذلاً، وركلاً وتصفيعاً، إنها علاقة من كان خائفاً بعد أن كان مخوفاً، إنها علاقة من رأى الموت بأم عينيه بمن كان يسعى لقتله، وسفك دمه، واسترقاقه والاستيلاء عليه.

وهنا أجد نفسي مضطراً أيضاً إلى أن أشير بسرعة إلى روعة المعاملة التي عامل بها سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أسرى بدر الذين طالما أساءوا إلى المسلمين عامة، والى شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) خاصة والى الإسلام برمته، وهنا أصدرت القيادة المحمدية الرائعة بتعليم الله تعالى لها بقوله (صلى الله عليه وسلم) "أحسنوا إلى أسراكم".

فتحول موقف الصحابة –الطائعين– من موقف الذي كان يريد أن يبطش بمن بطش ويقتص ممن ظلم، إلى موقف إنسان يريد أن يحسن إلى من قد وصَّى عليه القائد المحبوب، الذي لا تجوز مخالفته لا ظاهراً ولا باطناً، فصار أحدهم ينام على الفراش الخشن لكي ينام أسيره على الفراش الليّن؛ إكراماً لوصية رسول الهدى (صلى الله عليه وسلم) ، وصار يطعمه الطعام الجيد بينما يأكل هو وأولاده الطعام الرديء؛ احتراماً لأمر النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأصبح الأسير الذي كان يتوقع كل أنواع القصاص، ينعم بأحسن ضيافة وأكرم نُزُل، فما كان من أغلبهم إلا أن أسلم وحسن إسلامه.

وحين نتصفح نظام الجهاد في الفقه الإسلامي نجد أن الإسلام قد جعل بيد القائد أربع خصال لمعاملة ذلك الأسير:

أولاً : القتل لأسير أساء أو نقض العهد أو كان مجرم حرب بحق الإنسانية أو الإسلام أو المسلمين.. وهذا رغم انه في غاية العدل إلا انه لم يقع في الإسلام إلا قليلاً، علماً بأنه كان يقع عند الآخرين بكثرة وفضاعة.

ثانياً: الفداء كأن يعتق أسير بدل أسير، أو أسير مقابل مال، أو مقابل خدمة كما في بدر، إذ اعتق كل من قام بتعليم عشرة أولاد من أولاد المسلمين القراءة والكتابة.

ثالثاً : ضرب الرق عليه كما أسلفنا؛ لأن العالم كله كان يتعامل بذلك، (وكما سيأتي معنا).

رابعاً : وهو أمر لم يكن معروفاً من قبل إلا نادراً، ألا وهو المنّ عليه بالإعتاق بلا مقابل، لوجه الله تعالى، وهو الباب الذي اهتدى إليه العالم فيما بعد، فيما يعرف بمعاهدات حقوق الإنسان، ومعاملة الأسرى ومنع الرق...الخ.

وهذا كله مع ملاحظة أن بعض الأسرى والمعتقلين في القرن العشرين وما بعده لا يزالون يقضون سنوات في غياهب السجون، لا يدري أحد مصيرهم، و الذين يعيشون حياةٌ الرق أفضل منها بكثير، بل والقتل أحياناً، وكل هذا يجري تحت سمع الدول التي تدعي الحضارة وبصرها.

أما عن المعاملة اليومية للأسير، فقد كان الأسير يكد في الليل والنهار سعياً لإرضاء سيده، دون أن يسمع منه كلمة شكر أو احترام، وأن أرقى العبيد هم الذين كانوا يُعدّون الطعام لأسيادهم، ثم لا يطعمون منه إلا الفتات، وبما لا يزيد كثيراً عما يُلقى لكلاب الحراسة.

أما الإسلام فقد أوصى بقوله "إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ " فهم اخوة "جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ "أي فاشكروا الله تعالى على النصر؛ لأنه لا ينصر المتكبرين ولا المتجبرين، فالشكر يكون: " فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ " فيا لروعة الإسلام وأخلاقه "وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ "[1].

هذا ما يختلف تماماً عن الآخرين الذين كانوا يكلِّفون العمال بالعمل طول النهار تحت وهج الشمس، فإذا جلس أحدهم ليرتاح انهالوا عليه بالضرب، ويكلفوهم بحصاد المزروعات، ولئلا يهربوا فإنهم يضعون في أرجلهم الأغلال الثقيلة، وبعد عمل النهار المضني، فإنهم يأكلون وجبة رديئة ثم لا يكون منامهم إلا في زرائب أوهى وأحقر وأقذر من زرائب الحيوانات.

أما من ناحية الحقوق الإنسانية فهيهات ...هيهات، فقد كان للسيد الحق أن يضرب عبده بسبب أو بلا سبب.. وله الحق في أن يُوسِمَهُ بالنار على خده أو ظهره أو جنبه، بحجة الخوف

---

(1) الحديث بطوله رواه البخاري في كتاب العتق برقم (2545).

من الهرب أو حتى لكي لا يلتبس بغيره أو بلا حجة، وكان له إن شاء أن يقتله دون أن يسأله أحد عن ذلك، إنه في عرفهم: مال، وللإنسان أن يفعل في ماله ما يشاء،أما الإسلام فقد نص على حرمة قتل عصفور بلا سبب فكيف "بإخوانكم خولكم" ولذلك فقد ورد عن النبي(صلى الله عليه وسلم) أنه قال: " مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ قَتَلْنَاهُ وَمَنْ جَدَعَهُ جَدَعْنَاهُ وَمَنْ أَخْصَاهُ أَخْصَيْنَاهُ"(النسائي(4636).

أما التخلص من الرق

للإسلام طريقته الخاصة بذلك بما لا يباري، فكتب الفقه الإسلامي كلها تجمع على أن الإسلام يحث على تحرير العبيد وقد اتخذ لذلك عدة طرق منها:

أولاً : الكفارات والنذور: فكفارة القتل تكون بتحرير رقبة؛ لأن الإسلام يعد العبودية كالقتل، وان التحرير يعتبر كإحياء الميت، والملاحظ أن أغلب الكفارات تنص أولاً على التحرير، ولا يجوز أن ينتقل إلى الصيام أو الصدقة إلا بعد العجز عن تحرير الرقاب (العبيد) – على الأغلب– كما في كفارة الصيام والظهار وغيرها.

ثانياً : العتق لوجه الله تعالى ... وله الأجر العظيم.

ثالثاً : المكاتبة: فإذا رغب العبد في أن يشتري نفسه من صاحبه فله الحق في ذلك بشرط (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا)، بل ويصل الأمر إلى أمر الناس بمساعدتهم (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ)(النور :33)، إنه ليس مالكم وإنما هو مال الله.

رابعاً : لا ولم ولن يوجد على وجه الأرض **موازنة دولة** فيها بند تدفع بموجبه من مالها، ما تحرر به العبيد، سوى الإسلام، الذي جعل من مصارف الزكاة بنداً هو (وَفِي الرِّقَابِ)(التوبة آية 60)،أي يصرف جزء من أموال الزكاة الواردة إلى بيت المال من أجل شراء بعض الرقاب ثم إعتاقها.

خامساً : العتق بالملك: فمن ملك أحد أصوله، أو أحد فروعه، عبداً عتق على الفور، وأيما سيد تزوج بأمه فولدت إنساناً أو ما يشبه الإنسان حرم بيعها وعتقت من بعد موته.

سادساً: وكذلك فإن من باب الإحسان أن يتزوج الرجل جاريته ويجعل مهرها عتقها، فيحررها بدلاً من أن تبقى في رق العبودية.

فلسفة الاسترقاق:

حينما يصطف جيش مقابل جيش، كل واحد يريد أن يفتك بالآخر ويوقع فيه أعظم ما يستطيع من الخسائر وتدور رحى المعركة بين كر وفر، وإقدام وإحجام ... كل واحد يدعى أنه اقدر على إحراز النصر، وهو الأجدر بالبقاء، ويبرهنون على ذلك بالإقدام على القتال الذي هو أصعب شيء على النفس، وأصدق شيء يُبرهن على حب المبدأ، وفي أثناء تلك الجولات، وإذا بالهزيمة تقع في أحد الطرفين، ويقع جندهم بين قتيل وجريح ... وإذا ببعض الجند من الفريق المنهزم يرفع يديه مستسلماً، فما هو معنى رفع اليد هذه؟!.

إنه بلسان حاله يقول: أنا لم أعد مؤمناً بما يقاتل عنه الآخرون من قومي، أو إن إيماني بأحقيتي بخوض المعركة قد تزعزع، أو إن نفسي عزيزة علي، وأنا ضعيف عن التضحية أمام شهوة الحياة، أو أنا لا أستطيع على الأقل أن أستمر في القتال، وهذا في أكثر من نصف حوادث الأسر.

وتدليلاً على ذلك، فإن معركة بدر قد شهدت سبعين قتيلاً من الكفار يقابلهم سبعين أسيراً، ولكن معركة أحد التي استشهد فيها سبعون مسلماً، لم يحظ الكفار بأسير واحد من المسلمين.

نعود لنقول: إن فلسفة الاستسلام في المعركة تعني أن المقاتل قد انفصل عن فلسفة قومه في خوض المعركة، وهو الآن يرجو ممن قدر عليه أن يمن عليه بالحياة بلا قيد ولا شرط من خصمه.

ويكون الآسر في ذلك محسناً، إذ أنه لم يقتل ذلك المستسلم رغم انه أصبح قادراً على ذلك بضربه واحدة، وكتشجيع على عدم القتل، فإن الأعراف في تلك الأزمان جعلت من حق هذا المقاتل أن يتصرف في ذلك الأسير كما يشاء، من ضرب الرق عليه، أو بيعه بالثمن المناسب، أو إبقاءه عنده كخادم يخدمه بلا مقابل.

أما فلسفة الإسلام في الرق، فإن الإسلام لم يلغ الرق كما يحلو للبعض أن يقترح ... بل جاء إلى هذا الباب من أبواب السوء، فجعله مفتاحاً لباب السعادة والهداية للإسلام الذي هو دين الحق والخير والنور.

فهو أولاً: سمح للحاكم المسلم بأن يضرب الرق أو يقتل البعض أو يفادي أو يمن بلا مقابل.

وهو ثانياً: نبه الجندي المسلم إلى انه يمتاز بحسن الخلق مع السادة كما أنه يمتاز بحسن الخلق أيضاً مع العبيد، بل ومع الدواب ذلك لأن الخلق الحسن، وحسن المعاملة رجاء الفوز بمرضاة الله تعالى، وليس لأجل المخلوقين.

وهو ثالثاً: حث المسلم على أن يعتق العبيد إما كفارة وإما تقرباً لله تعالى وإما مكاتبة.

وهو رابعاً: قد أعطى للعبد حقوقاً كالأسياد مثل: الدخول في الإسلام، و العبادة، والتقرب إلى الله تعالى، وطلب العلم، وحق القصاص،، وطلب المكاتبة.... الخ.

وهو حين يفعل ذلك إنما يحرر العبد من داخله قبل أن يحرره بفرض قانون أو نظام.

صورة رائعة: ومن القصص الرائعة، أن أمة (عبدة، رقيقة) كانت تحمل إناءاً كبيراً فيه ماء يغلي، فوقع منها على رأس ابن سيدها،فمات على الفور، فنظر إليها سيدها مغتاظاً، فقالت له إن الله تعالى يقول:

(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) فقال: كظمت غيظي، قالت ويقول أيضاً: (وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ) فقال : قد عفوت عنك، قالت: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[112آل عمران]، فقال: أنت حرة لوجه الله تعالى.

فهل هناك أروع من تربية الإسلام التي كافأت الإساءة إلى هذا الحد من الإحسان؟!

الأسئلة والمشاركات

س1 ج1 : نعم أن أول من سن قانون تحرير العبيد في أمريكا هو إبراهام لنكولن ونحن نشكره على ذلك ولكن وكما يقولون: العلة ليست في القانون لكنها في عدالة القاضي.

فمن المعلوم أن العبد الذي استمرأ الخدمة لسيده ولم تحدثه نفسه يوماً ما لكي يصبح حراً، يتحمل مسؤولية إصدار قرار ما، أو يفكر في كيفية حصوله على الرزق، قد استاء كثيراً من هذا القرار، إذ أنه كان يسأل سيده يومياً عن ماذا سيطبخ له في كل يوم، وماذا يفعل بحليب البقرة بعد ما حلبها، وماذا يفعل ببيض دجاج اليوم، فإن دماغه وتفكيره لم يتعود يوماً ما في أن يفكر لغد أو بعد غد، أو عن كيف تأتي النقود وكيف تنفق.

وحينما أخبره سيده بأن عليه أن يخرج من البيت؛ لأن أمريكيا قد حررت العبيد، صار العبيد يبكون، لا فرحاً بالحرية، ولكن لعدم مقدرتهم على تصريف شؤون حياتهم، ولحل هذا الإشكال اتصل مالكوا العبيد بالمحامين يسألونهم ماذا يفعلون؟ وكان الجواب جاهزاً في القانون الأمريكي. "لا عليكم أن توقعوا معهم عقد خدمة ولو بدولار واحد في العام "... نعم لقد تحرر العبيد في أمريكا وخرجوا من الباب الأول أحراراً ولكنهم عادوا من الباب الثاني باسم الخدم.

أما الإسلام فإنه كان حريصاً على تحرير نفوس العبيد من الداخل بحثهم على المطالبة بالتحرير (وَالَّذِينَ **يَبْتَغُونَ** الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ

مَالِ اللَّـهِ الَّذِي آتَاكُمْ)(النـور 33)، أي إن نفوسهم تتوق إلـى الحريـة، تلك النفوس التـي رباها الإسلام على أن تطالب بالحرية.

س2: كيف عامل الإسلام النساء في ملك اليمين بقوله تعالى: (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) ؟

ج2: هذا السؤال بحاجة إلى محاضرة كاملة لكثرة ما أثير حوله من شبهات، وهذه الشبهات ناتجة من جهل أبناء المسلمين به، ومن كيد أعداء الإسلام في الدس عليه، ولكننا نقول وبالله التوفيق.

أولاً : إن أعداء الإسلام فعلوا ولا يزالون يفعلون بالأسرى الأعاجيب، ثم ينسون ما فعلوا، ويتوجهون إلى الإسلام ينتقدونه وكأنهم براء مما يتهمون، وما مثلهم إلا كمثل من يطرد الذباب عن غيره، بينما العقارب تدخل تحت ثيابه، أو كمن يمسح القذى عن عين غيره، بينما العود قد دخل في عينه هو وصدق الشاعر حينما قال:

لو نظر الناس إلى عيبهم ما عاب إنسان على الناس

وبالعكس فإنهم قد رأوا في عيوبهم الخير وفي خير الإسلام العيب.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

ففي الجاهلية الأولى وفي الجاهلية الحديثة: يقع الاغتصاب للأسيرات، ومعلوم أن هذا محرم في الإسلام على الجندي الخلوق المنتصر؛ الذي يراقب الله تعالى قبل مراقبته للقوانين.

كما أن دور البغاء إنما تعتمد في كل الجاهليات على الأسيرات، ومعلوم أن البغاء محرم في الإسلام جملة وتفصيلاً.

وكذلك فإن الإسلام قد أوجد حلاً لمشكلة أبنائه وبناته الجنسية، ومثلما أنه يأمر بإطعام الأسير والأسيرة، يرى انه من الضروري أن تحل مشكلة الأسيرة جنسياً أيضاً، فالإنسان كما هو معلوم بحاجة إلى حل كل مشاكله على الإطلاق: وبما أنه لا يجوز بأي حال أن يطلق سراح الأسيرات من الكفار في حين أن الأسيرات المسلمات يعاملن بكل قسوة وفضاعة، فلا يجوز أن تبقى الأسيرة بلا زواج، أو يُخصى العبد في ديار الإسلام؛ لذلك كان لا بد من تزويج هذه الأسيرة.

فالقائد المسلم حين يوزع الغنائم ... يرى أن فلاناً بحاجة إلى سيف فيعطيه سيفا، والآخر بلا فرس فيعطيه فرساً، والآخر بلا درع فيعطيه درعاً، والرابع بلا زوجة فيعطيه أسيرة يعاملها –كما قلنا– بأخلاق الإسلام،

والأسيرة حينما تبقى بلا أب تستحيي منه، ولا أخ تخاف منه، ولا زوج يعفها، والكفر لم يعلمها مراقبة الله تعالى، فإن الأسيرة تبقى مَفسَدةً متحركة، فجاء الإسلام ليعطيها لرجل واحد بعينه، يعفها ويرعاها وينفق عليها ويصونها، وعليها نصف ما على المحصنات من العذاب إن ارتكبت الفاحشة، وهذا بعكس قوانين الأرض التي كانت تزيد العقوبة على العبد أو على الأقل لا تراعي هذه النقطة.

إن الفرق بين الزواج والزنا هو قول الأب للخاطب: زوجتك، وبما أن الأسيرة قد فقدت الأب وولي الأمر، فإن القائد المسلم في هذه الحالة يقوم مقام الأب الحاني، علماً بأن القائد في المعركة هو القاضي، وهو الذي يؤم المجاهدين في الصلاة، وهو المسؤول عن قسمة الغنائم، وبما أن الأسيرة قد فقدت سلطة أبيها عليها، فإن القائد هو الذي يصبح ذو السلطة في تزويجها، فيكون تزويج القائد للمقاتل بمثابة تزويج الأب للزوج، علماً بأنه يجب أن يَستبرأ رحمها بحيضة لئلا تكون حاملاً فتختلط بذلك الأنساب ...

نعم إن سلطة الأب قد ذهبت عنها لأنها أصبحت أسيرة، فلا يمكن أن يؤخذ رأي والدها بعد الآن، ولكنه رأي القائد الحنون، الذي لم ينتصر بقوة سلاحه، بل لأن الله تعالى أيده بنصره، والله لا يهدي كيد الخائنين، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يحث هذا المجاهد أن يعتق هذه الأسيرة وأن يكون مهرها: عتقها، ويحثه أيضاً على أن يعلمها الإسلام أحكاماً وآداباً

مشاركة (1) في أحد حروب المسلمين مع الكافرين قام أحد الجنود يسأل الشيخ قائلاً: يا شيخ هل يجوز لي إن أمسكت بأسيرة كافرة أن افعل بها كيت وكيت...؟!

هنا اكفهر وجه الشيخ وقال: بئس ما قلت أيها الجندي؛ فإن هدف المجاهد أولاً: هو إعلاء كلمة الله، والدفاع عن أوطان الإسلام التي تصان فيها الحقوق وترتفع فيها المآذن بلا اله إلا الله محمد رسول الله، كما أن المسلم يجاهد لصون الحرمات والمقدسات.

إن قولك هذا يا أيها الجندي إنما يثير في نفسي الخوف؛ لأن قولك هذا لا يتوافق مع أخلاق المسلمين المنتصرين، كيف لا والله تعالى يقول: (إِنْ تَنصُرُوا اللَّـهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)(محمد آية7)... وبالفعل فقد وقعت الهزيمة، لأن هذه الأخلاق ليست أخلاق المنتصرين وشكراً.

شكراً لـلأخ الكريم : ويقال فيما يقال أن رجلاً ممن احتُلت بلاده قال لرفيقه: انظر إلى تلك المجندة الكافرة ما أجملها! وسمعت المجندة الكافرة كلامه، فقالت له وقد شهرت عليه السلاح: ماذا تقول؟

فانبهر الرجل المسمى بالمسلم؛ لأن المجندة الكافرة كانت تتقن لغته فقال كاذباً: لا شيء. فقالت له تتواقح وتكذب أيضاً!

وحين همت بقتله قال مذعوراً: أتوسل إليك، أقبل قدميك، أن لا تقتلينني، وهنا ألقت إليه بحذائها وأمرته بأن يقبله، فما كان من ذلك المستسلم، حالق الذقن، إلا أن وازن شاربيه وأكب على حذائها يقبله.

نعم إن أخلاق المنتصرين تختلف تماماً عن أخلاق الشهوانيين الذين ينظرون إلى كل شيء بمنظار الجنس لا غير " و مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " (البخاري :1).

مشاركة (2) قرأت في كتاب الطنطاوي: قصص من التاريخ: أنه حينما دخل الصليبيون بيت المقدس فقد قتلوا الآلاف من المسلمين من شيوخ ونساء وأطفال بعد أن أعطوهم الأمان، حتى أن خيلهم خاضت بدماء المسلمين إلى الركب.

وحينما عاد المسلمون إلى دينهم وتوحدوا، وعادت لهم القدس لهم، وإذا بامرأة صليبية تنادي يا صلاح الدين ... أين طفلتي؟ وكان بإمكان أي مسلم أن يقتلها قصاصاً، وكان بإمكان صلاح الدين أن يقول لها: وما شأني بطفلتك؟ ولكن أخلاق المسلمين تأبى ذلك،

ويأمر صلاح الدين مفرزة من خاصة جنده بالبحث عن الطفلة، وعندما وجدوها سلموها لأمها، ثم سلموهما للجيش الصليبي ليعيدوها إلى أهلها.

ولأشد ما تفاجأت المرأة حينما راودها الجنديان الصليبيان عن نفسها، وهي على حافة قنطرة تقع فوق النهر، ويهدداها بالموت، فما كان منها إلا أن ألقت بنفسها وبطفلتها في الماء فتخرج منه فقاعتان من الهواء: تشهد الأولى بالعفاف والطهر لجيش الإسلام، وتشهد الأخرى بالخزي والعار لجيش الصليبين.

شكراً للأخ الكريم، وهذه هي رحمة الإسلام، بل إن الرحمة في الإسلام قد شملت الحيوانات، والحشرات أيضاً، فقد روى أبو داود بسنده عن عبد الله بن مسعود قال:

كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ قُلْنَا نَحْنُ قَالَ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ " (أبو داود 2675).

مشاركة (3) إن الناظر إلى الحرية التي كان يملكها العبيد في دولة الإسلام لوجدها حرية يتطلع إليها الأحرار في هذه الأيام.

فحين هدد المجوسي **فيروز** عمرَ –رضي الله عنه – بالقتل، فهم منه عمر أنه يريد أن يقتله، ولكنه لم يحبسه ولم ينفه من الأرض ولم يعتقله، بل ولم يضع حرساً حوله ولم يشدد الحراسة، رغم أن ذلك المجوسي مخلوق ناقص الآدمية بحق، لأنه يعبد مخلوقاً؛ فقد كان يعبد النار، ولم يزد عمر رضي الله عنه على أن قال لأصحابه:" تهددني العبد "، ثم تركه حراً حتى ارتكب جريمته فقتل خليفة المسلمين، فهل يستطيع أحد أن يتهدد مسؤولاً ويبقى بلا حساب يسير بحرية.

شكراً للأخ الكريم: وهاهو القرن العشرين يكاد ينتهي قبل أن تُحل مشكلة المُلوَّنين في جنوب إفريقيا، بحيث كانوا يحرمون من حقوقهم المشروعة، وكانوا يقتلون أو يصطادون كالأنعام على حد تعبير أحد الصحف البريطانية؛ لأنهم فقط أحسوا بكرامتهم وطالبوا بحريتهم.

مشاركة (4) ذهبت في زيارة سياحية إلى أحد الآثار الرومانية للعبرة والعظة، فرأيت فيما رأيت مدرجاً له ساحة يحيط بها مقاعد كثيرة يعلو بعضها فوق بعض كالدرج المرتب المتناسق، بحيث يسمح للصفوف الخلفية بأن ترى ما يجري في الساحة التي أمامهم، ولكني لم اعرف ماذا كانوا يشاهدون في هذه الساحة.

وسألت كثيرين ممن كانوا هنالك فلم أجد جواباً عند أحد منهم، ولا حتى الإدلاء المسؤولين عن الدلالة في ذلك المكان، إلى أن قيض الله لي عالماً فاضلاً فأرشدني إلى أن هذا المكان كان يؤتى فيه برجلين من العبيد، يوضع على أعينهما عصابة، ويوضع بيد كل منهما سيف، وباليد الأخرى سلسلة توصله بصاحبه، ويؤمران بالاقتتال، وتبدأ المصارعة بهذه الصورة حتى يقضي أحدهما على الآخر، بينما السادة ينظرون ويضحكون، وأفادني هذا العالم الجليل بالملاحظات التالية :

أولاً: أن هذه المصارعة كانت إجبارية، فلو رفضها أحدهما لكان مصيره القتل، لذلك فإنها لا تعبر عن الشجاعة، ولا عن العداء بين هذين العبدين، ولكن كل واحد منهما يحاول أن يقتل الآخر لكي يتخلص من الموت.

ثانياً: أن السادة الجالسون على الحجارة المرتبة يلعبون فيما بينهم القمار، فكل واحد يقول لمجاوره: من يا ترى يربح؟ هل هو رقم (1) أم رقم (2)؟ فيتشارطان على ذلك لقاء مبلغ من المال، أو غير ذلك من صور القمار.

ثالثاً: لا المتفرجون ولا منظمو اللعبة ولا الدولة ولا الشعب في ذلك المكان يرون في سيل الدماء أو قتل أحدهما للآخر أي حرج أو حرمة أو عيب، ولا يؤنبهم ضمير ولا يردعهم رادع، أو غير ذلك.

رابعاً: قد يقتل أحدهما الآخر ولكن بعدما يكون قد أُصيب القاتل قبلها بجراح من المقتول فيكون مصير الاثنين الموت، خوفاً من الموت، فلا نامت أعين الجبناء.

خامساً: هناك لعب كثيرة مقيتة أخفها صراع الثيران، وكلها تنطوي على فكرة إرضاء الجمهور، وكسب الأموال على حساب دماء العبيد وحياتهم.

سادساً: أن المدرج والساحة قد كد وتعب في بنائها العبيد، لكي يموت فيها العبيد كل ذلك لإرضاء الرجل الروماني المتعالي.

شكراً للأخ الكريم: على هذه الملاحظة، ولذلك كان لا بد من أن يبعث الله تعالى للناس رسولاً لينهي تلك المآسي والظلامات، والضلالات، ولكي يعيد الرحمة والعدالة إلى الناس، ولذلك فإن إمبراطورات الباطل قد تهاوت –على قوتها– أمام سيوف الحق –على ضعفها– ذلك لأن الله تعالى أراد ذلك:(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)[18]الأنبياء

ومن قبل فقد تهاوت الأصنام التي كانت فوق الكعبة رغم أنها كانت مثبتة بالرصاص، بإشارة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إليها بقضيب كان بيده وهو يتلو قوله تعالى:(وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)[81]الأسراء.فعجباً لمن جاء يفتخر بهذا الظلم الذي داسته أقدام رحمة الإسلام.

مشاركة (5) الإسلام كان يدلل العبيد ويشعرهم بكرامتهم فانظر إلى قوله تعالى **(فَتَيَاتِكُمْ)** فالسادة هم أهل الجارية يستأذنون في زواجها(فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ) ولم يقل بإذن سادتهن، فالسادة أهل والإماء فتيات كالبنات، لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) "إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ " [(2)]وقال (صلى الله عليه وسلم) : " لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي" (البخاري/ العتق:2552).

(2) الحديث بطوله رواه البخاري في كتاب العتق برقم (2545) سبق تخريجه ص(75).

شكراً لـلأخ الكـريم: فكل شـيء فـي الإسـلام رحمـة حتـى أسر الكـافر المستسلم، رحمـة لـه، فهو يعيش فـي جو إسـلامي فريـد، يجعلـه يعشق الإسـلام، ويعرف الفرق بين حيـاة الإسـلام، وحيـاة الكفر، فيدخل الإسلام وتشتاق روحه للحرية فما يلبث أن يتحرر.

ولكـن أيهـا الاخـوة: الإسـلام لـيس مسـؤولاً عـن التطبيـق الخـاطئ لـه فـي بعـض العصـور التـي أوصـلتنا فـي النهايـة إلـى مـا نحـن عليـه، فنسـأل المـولى عـز وجـل أن يفهمنـا حقيقـة الإسـلام وأخلاق الإسلام، لكي نجد السعادة التامة في تطبيقه.

المشاركة (6): إنـه لمن المؤسف حقاً أن يكون 80% من المشردين، هم من المسلمين، الذين هم 20% من سكان هذا العالم، بينما 20% من مشردي العالم، هم من الآخرين، البالغ نسبهم 80% من سكان العالم، ومع ذلك فإن شباب المسلمين يتساءلون: الجهاد لماذا ؟ بدلاً من أن يتساءلوا: الاستسلام لماذا؟، ويتساءلون: الرق لماذا ؟ بدلاً من أن يقولوا لماذا هذا الذل يسام به المسلمون هنا وهناك.

ويقولون: الحدود ولماذا ؟ بدلاً من أن يقولوا ترك حدود الله لماذا ؟.

وإن هذا الذل والخسف والهوان لن يتغير حتى تتغير نفسيتنا مصداقاً لقولـه تعالى: (إِنَّ اللَّـهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)[11الرعد] فإن عدنا إلـى الله تعالى، والتجأنـا إليـه، ورضـينا بشرعه، وطالبنا بتحكيمه بيننا، ودعونا الله في الليل والنهار لأنه وحده القادر على التغيير، وهو وحده المستحق للعبادة وأننا نحن عبيده المطيعون، فلا بد من أن يقيض الله لنا أمر رشد يعز بـه أهل طاعتـه ويـذل بـه أهل معصـيته، إنـه علـى مـا يشـاء قـدير وإن لـم تفعلوا فـلا تلومـوا إلا أنفسكم.

والحمد لله رب العالمين.